مفهوم الطريقة في القرآن الكريم

The concept of method in the Holy Quran

م.د وليد متعب السامرائي

Assistant.Dr Waleed Mutib Ali

جامعة سامراء / كلية العلوم الاسلامية

Samarra University / College of Islamic Sciences

waleed.mutib@uosamarra.edu.iq

الخلاصة

يعرض هذا البحث مفهوم «الطريقة» من جوانب لغوية واصطلاحية، ويتوسّع في بيان معانيها كما وردت في القرآن الكريم. في المبحث الأول، يتناول البحث الأصل اللغوي لكلمة «طريقة»، ويقارنها بكلمات مترادفة مثل «النهج» و«السبيل»، موضحًا أن جميعها تشير إلى المسار الذي يسلكه الإنسان في حياته، سواء كان ماديًا أو معنويًا. ثم ينتقل إلى المفهوم الاصطلاحي للطريقة المعاصرة، معرفًا إياها كمنهج يتماشى مع متغيرات العصر ويعتمد على التجديد في الوسائل والفهم، بما يخدم مقاصد الشريعة أو أهداف العلم والمعرفة في الزمن الحديث.

أما في المبحث الثاني، فيتعمق البحث في دراسة مفردة «الطريق» كما وردت في النصوص القرآنية، ويوضح تعدد استعمالاتها. فبعضها يدل على الانحراف والباطل كما في حال الكفار والسحرة، بينما يظهر بعضها الآخر في سياق الهداية والاستقامة، حتى عند الحديث عن عالم الجان. كما تُعرض السماوات السبع باعتبارها طرقًا في إشارة إلى النظام الكوني. ومن خلال ذلك، يربط البحث بين الطريقة كمفهوم شرعي وكوني، مظهرًا التنوع في المعنى والسياق.

الكلمات المفتاحية :-

الطريقة ، القرآن الكريم ، الاستقامة ، عالم الجن ، السحر والباطل

Abstract

This research presents the concept of “ṭarīqa” (path or method) from both linguistic and terminological perspectives, and further explores its meanings as mentioned in the Holy Qur’an. In the first chapter, the study examines the linguistic root of the word “ṭarīqa” and compares it with synonymous terms such as “nahj” (approach) and “sabīl” (way), clarifying that all of these denote a path followed by a person in life, whether physical or symbolic. It then transitions to the contemporary definition of “ṭarīqa,” identifying it as a methodology that aligns with the changes of the modern age, relying on renewal in both understanding and practice, in a way that serves the objectives of Islamic law or the goals of knowledge and science in today’s world

In the second chapter, the research delves into the usage of the term “ṭarīq”

(path) as it appears in Qur'anic texts, illustrating its diverse applications. Some references indicate deviation and falsehood, as seen in the context of disbelievers and sorcerers, while others refer to guidance and uprightness—even when speaking of the world of the jinn. Additionally, the seven heavens are described as "paths," pointing to the cosmic order and harmony. Through this exploration, the study links the concept of "ṭarīqa" as both a religious and cosmic notion, highlighting the richness and diversity of its meaning and context

Keywords:

Method / Path , Holy Qur'an , Righteousness , World of Jinn , Sorcery and Falsehood

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله الذي وفق عباده للقربات وأبعدهم عن النواهي وقربهم للطاعات ، أرسل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالحجج البينات ، فأفحم بها أهل العتو والجهالات ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما دامت الأرض والسماوات صلاة وتسلميا دائمات متتاليات أما بعد :

لعلّ مِن أبرز السمات الدلالية لألفاظ القرآن وتراكيبه هي اتساع دلالة تلك الألفاظ والتراكيب، ويمكننا أن نميّز هاهنا بين ما يمكن أن يسمّى بالتعدّد الحقيقي للمعنى، وما يمكن أن يسمّى بالتعدّد الشكلي؛ حيث تتعدّد أنواع الألفاظ عند اللغويين بين حقيقة ومجاز، وحقيقة لغوية وحقيقة شرعية، وما تجتمع في دلالته الحقيقتان، أو الحقيقة والمجاز، أو يكون من قَبِيل المشترك أو المتواطئ، على نحو ما يبيِّن اللغويون في دراستهم اللغوية. وكلّ واحد من هذه الألفاظ قد تتعدّد دلالته في سياقاته ،وظاهر اللفظ القرآني ما يتبادر منه إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق معين، ومعنى آخر في سياق مختلف، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه غيره ، والذي يعنينا من هذه الظاهرة القرآنية اللغوية في البحث هي (مفهوم الطريقة في القرآن الكريم)، أن نبين أنه وردت في القرآن الكريم ألفاظ، اختلفت معانيها وفق السياقات والسباقات التي وردت فيها فقد يسبق للذهن منها عند الوهلة الأولى غير ما هو مراد منها ولكن إذا أمعنا النظر في ذلك اللفظ على ضوء السياق والسباق الذي جاء به، استطعنا أن نفهم المقصود من ذلك اللفظ، وبالتالي فهم الآية بناء على ذلك وبمثال آخر يزداد الأمر بيانًا فتحصَّل من مجموع ما تقدم أن ألفاظ القرآن الكريم ليست ذات دلالة واحدة لا تخرج عنها أينما وردت، بل إن العديد من تلك الألفاظ تحمل دلالات عدة

ومختلفة، يحددها السياق والسباق القرآني الذي وردت فيه، ومن هنا تظهر لك أهمية فهم اللفظ القرآني على ضوء سياقه وسباقه الذي ورد فيه، وفي إطار متقدمه ومتأخره، ولا ينبغي أن يفهم اللفظ القرآني مقطوعًا عن سياقه وسباقه، ومبتورًا عن متقدمه ومتأخره، ففي ذلك ما فيه من الإخلال في الفهم، والبعد عن القصد، والتجافي عن الصواب .

المبحث الأول: مفهوم الطريقة المعاصرة في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : مفهوم الطريقة لغة

الطريقة: الرجال الأشراف، يقال: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم، لقوله تعالى: كنا طرائق[١]، أي: جماعات مختلفة، وقوله تعالى: (بطريقتكم المثلى)[٢]، أي: بسنتكم ودينكم، وما أنتم عليه، وقوله تعالى: كنا طرائق قددا[٣] أي: كنا فرقا مختلفة أهواؤنا، فالطريقة: هي طريقة الرجل. وقال أبو إسحاق في قوله تعالى: وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا[٤]، أراد: لو استقاموا على طريقة الهدى. وقد قيل: على طريقة الكفر، وقال غيره: فلان حسن الطريقة، أي: حسن الخليقة، وكل لحمة مستطيلة، فهي طريقة ويقال للخط الذي يمتد على ظهر الحمار: طريقة، وجمعها: طرائق: نسيجة تنسج من صوف أو شعر[٥].

وطريقة القوم: أماثلهم وخيارهم، يقال: هذا رجل طريقة قومه، وهؤلاء طريقة قومهم وطرائق قومهم أيضا، للرجال الأشراف[٦].

الألفاظ ذات الصلة:

(١) سورة الجن: من الآية: ١١ .
(٢) سورة طه : من الآية: ٦٣ .
(٣) سورة الجن: من الآية: ١١ .
(٤) سورة الجن: الآية: ١٦ .
(٥) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/ ١، ٢٠٠١م: ٩/ ١٠ -١٤؛ ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط/ ٣ ١٤١٤ هـ: ١٠/ ٢٢١، فصل (الطاء المهملة).
(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لابي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/ ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٤/ ١٥١٣، مادة (طرق).

أولاً: الوجه: لغةٌ في الوِجْهة[١]، والجمع: الوجوه، والوجه والجهة – بمعنى، والهاء عوض من الواو، يقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه[٢]، أوهي القِبلة[٣].

ثانياً: السبيل: السبيل الطريق، يؤنثان ويذكران، وفي هذا يقول تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً – ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ[٤]، وجمع السبيل سبل[٥]، فكل مأتي إلى الشيء هو سبيله[٦].

الفرق بين السبيل والطريق: قد يفرق بينهما بأن السبيل أغلب وقوعا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك[٧].

كقوله تعالى قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ[٨].

ثالثاً: النجد:

النجد: ما خالف الغور، وأنجد القوم صاروا ببلاد نجد، وكل شرف من الأرض استوى ظهره فهو نجد، ويجمع على أنجاد، وفي أدنى العدد: أنجد، والجمع النجاد، والنجاد في مثل هذه الصفة أرض فيها ارتفاع وصلابة، فالطريق الواضح يسمى نجدا، والناجد: الساكن المقيم. ونجد الأمر ينجد نجودا أي

(١) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ٦/ ٢٢٥٥، مادة (وجه).
(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م: ١١/ ٧٠٧٢، مادة (الوجه).
(٣) المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط/ ١ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م: ص٨٥.
(٤) سورة الأعراف : من الآية: ١٤٦ .
(٥) تهذيب اللغة للأزهري: ١٢/ ٣٠٢، أبواب السين واللام.
(٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت: ص٤٩٤ .
(٧) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط/ ١، ١٤١٢هـ: ص٣١٣ .
(٨) سورة الاحقاف من الآية: ٣٠ .

استبان ووضح فهو ناجد[١]، وأصل النجد العلو من الأرض والجمع أنجاد ونجود[٢].

فالنجد: الطريق الواضح[٣].

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"[٤]، أي بينا له طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة[٥].

المطلب الثاني : مفهوم الطريقة المعاصرة في الاصطلاح

الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات[٦].

الطريق: السبيل، يذكر ويؤنث. تقول: الطريق الأعظم، والطريق العظمى، والجمع أطرقة وطرق[٧]

((السبيل الطريق وما وضح منه يذكر ويؤنث وسبيل الله طريق الهدى الذي دعا إليه وفي التنزيل {وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا} الأعراف ١٤٦ وفيه {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة} يوسف ١٠٨ وقوله تعالى {وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر} النحل ٩ فسره ثعلب فقال على الله أن يقصد السبيل للمسلمين وللدابة ومنها جائر أي ومن الطرق جائر على غير السبيل فينبغي أن يكون السبيل هنا اسما للجنس لا سبيلا واحدا بعينه لأنه قد قال ومنها

(١) ينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٦/ ٨٣-٨٤.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط/ ١، ١٩٨٧م: ١/ ٤٥١ ؛ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٤/ ٤٠١، مادة (غور).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: ١٠/ ٦٤٨٧ .

(٤) سورة البلد: الآية: ١٠ .

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٤/ ٤٣٩؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م: ١٠/ ٢٠٩ .

(٦) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط/ ١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م: ص١٤١ ؛ التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ط/ ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ١٣٦ .

(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ٤/ ١٥١٣، مادة (طرق)

جائر أي ومنها سبيل جائر وقوله تعالى {وأنفقوا في سبيل الله} البقرة ١٩٥ أي في الجهاد وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله أي من الطرق إلى الله واستعمل السبيل في الجهاد أكثر لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين وقوله تعالى {والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل} التوبة ٦٠ ابن السبيل ابن الطريق وتأويله الذي قطع عليه الطريق والجمع سبل وسبيل سابلة مسلوكة والسابلة المختلفون عليها وأسبلت الطريق كثرت سابلتها وأسبل إزاره أرخاه وامرأة مسبل أسبلت ذيلها وأسبل الفرس ذنبه أرسله والسبل المطر)[١].

المبحث الثاني : مفهوم الطريق و الطريقة الواردة في القرآن الكريم

المطلب الأول: امثل قول لطريقة اهل الباطل

(إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا)[٢]

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن شعبة، في قوله: (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أوفاهم عقلا وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما[٣].

قال الله تعالى: {نحن أعلم بما يقولون}: أي في حال تناجيهم بينهم، {إذ يقول أمثلهم طريقة}: أي العاقل الكامل فيهم {إن لبثتم إلا يوما}: أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد، لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد، وكان غرضهم درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة، ولهذا قال تعالى: {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة}، وقال تعالى: {أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجآءكم النذير} الآية. وقال تعالى: {كم لبثتم في الأرض عدد سنين ۞ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين} ولو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م: ٨/ ٥٠٧ .

(٢) سورة طه الآية: ١٠٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ ٢٤/ ٣٧٠.

فأسأتم التصرف[1].

[في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا] اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام مع فرعون أولا ثم مع السامري ثانيا أتبعه بقوله: كذلك نقص عليك من سائر أخبار الأمم وأحوالهم تكثيرا لشأنك وزيادة في معجزاتك وليكثر الاعتبار والاستبصار للمكلفين بها في الدين: وقد آتيناك من لدنا ذكرا يعني القرآن كما قال تعالى: (وهذا ذكر مبارك أنزلناه)[2] (وإنه لذكر لك)[3] (والقرآن ذي الذكر)[4] (ما يأتيهم من ذكر)[5] (يا أيها الذي نزل عليه الذكر)[6] ثم في تسمية القرآن بالذكر وجوه: أحدها: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم. وثانيها: أنه يذكر أنواع آلاء الله تعالى ونعمائه ففيه التذكير والمواعظ. وثالثها: فيه الذكر والشرف لك ولقومك على ما قال: (وإنه لذكر لك ولقومك)[7] [في قوله تعالى من أعرض عنه إلى قوله يوم ينفخ في الصور] واعلم أن الله تعالى سمى كل كتبه ذكرا فقال: فسئلوا أهل الذكر وكما بين نعمته بذلك بين شدة الوعيد لمن أعرض عنه ولم يؤمن به من وجوه: أولها: قوله: من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا والوزر هو العقوبة الثقيلة سماها وزرا تشبيها في ثقلها/ على المعاقب وصعوبة احتمالها الذي يثقل على الحامل وينقض ظهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمل، ثم بين تعالى صفة ذلك الوزر من وجهين: أحدهما: أنه يكون مخلدا مؤبدا. والثاني: قوله: وساء لهم يوم القيامة حملا أي وما أسوأ هذا الوزر حملا أي محمولا وحملا منصوب على التمييز. وثانيها: يوم ينفخ في الصور فالمراد بيان أن يوم القيامة هو يوم ينفخ في الصور وفيه مسائل[8].

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط ٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م، ٢/ ٤٩٣.
(٢) سورة الأنبياء من الآية: ٥٠.
(٣) سورة الزخرف من الآية: ٤٤.
(٤) سورة ص من الآية: 1.
(٥) سورة الأنبياء من الآية: ٧.
(٦) سورة الحجر من الآية: ٦.
(٧) سورة الزخرف من الآية:44.
(٨) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي،بيروت- ١٤٢٠ هـ، ط: ٣، ٢٢/ ٩٧.

هذه الآيات الشريفة مخاطبة للنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، أي كما قصصنا عليك نبأ بني إسرائيل في خبر العجل وعبادتهم له، كذلك نقص عليك أخبار الأمم السابقة(١).

أي نحن أعلم بما يتناجون وبما يقولون في مدة لبثهم، حين يقول أعدلهم قولا، وأكملهم رأيا وعقلا، وأعلمهم عند نفسه: ما لبثتم إلا يوما واحدا لأن دار الدنيا كلها، وإن طالت في أنظار الناس، كأنها يوم واحد، وغرضهم من ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة(٢).

أنّ المراد العمى، لأنّ حدقة من يذهب نور بصره تزراقّ. تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول، يستقصرون مدّة لبثهم في الدنيا: إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار، وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت، والذاهب وإن طالت مدّته قصير بالانتهاء. ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت «أطال الله بقاءك» : «كفى بالانتهاء قصرا» وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا، ويقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة. وقد استرجح الله قول من يكون أشدّ تقاولا منهم(٣).

المطلب الثاني : طريقة للأستقامة عالم الجان

وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(٤)

هو الضريع والزقوم في النار. وعن أبى سعيد الخدري: عذاب القبر. وقرئ وَنَحْشُرُهُ بالجزم عطفا على محل فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً لأنه جواب الشرط. وقرئ: ونحشره، بسكون الهاء على لفظ الوقف، وهذا مثل قوله وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا وكما فسر الزرق بالعمى كَذلِكَ أى مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك(٥).

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط: ١– ١٤٢٢ هـ، ٢/ ١٥٤٦.
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: ٢، ١٤١٨ ١٦٥/ ٢٨١.
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣– ١٤٠٧ هـ، ٣/ ٨٧.
(٤) سورة الجن الآية: ١٦.
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٧ هـ، ٣/ ٩٥.

لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة. وروى: سبعين.

فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر رضى الله عنه: أنه خرج يستسقى، فما زاد على الاستغفار، فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر «١» . شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ(١).

لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا، قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا، قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا، إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا، حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراوأقل عددا، قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدد

هذا من جملة الموحى المندرج تحت أوحي إلي، وأن مخففة من الثقيلة، والضمير في استقاموا، قال الضحاك والربيع بن أنس وزيد بن أسلم وأبو مجلز: هو عائد على قوله: فمن أسلم، والطريقة: طريقة الكفر، أي لو كفر من أسلم من الناس لأسقيناهم إملاء لهم واستدراجا واستعارة، الاستقامة للكفر قلقة لا تناسب. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير: هو عائد على القاسطين، والمعنى على الطريقة الإسلام والحق، لأنعمنا عليهم(٢).

ووجه الفتح اتباعها لحركة الفتح قبلها. وأمال حمزة والكسائي الهدى، وهي لغة بني تميم، والباقون بالفتح، وهي لغة قريش. والاشتراء هنا مجاز كنى به عن الاختيار، لأن المشتري للشيء مختار له مؤثر، فكأنه قال: اختاروا الضلالة على الهدى، وجعل تمكنهم من اتباع الهدى كالثمن المبذول في المشترى، وإنما ذهب في الاشتراء إلى المجاز لعدم المعاوضة، إذ هي استبدال شيء في يدك لشيء في يد غيرك، وهذا مفقود هنا.

(١) الكشاف مصدر سابق، ٤/ ٦١٢.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ١٠/ ٢٩٩.

وقد ذهب قوم إلى أن الاشتراء هنا حقيقة لا مجاز، والمعاوضة متحققة، ثم راموا يقررون ذلك، ولا يمكن أن يتقرر لأنه على كل تقدير يؤول الشراء فيه إلى المجاز، قالوا:

إن كان أراد بالآية المنافقين، كما قال مجاهد، فقد كان لهم هدى ظاهر من التلفظ بالشهادة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والغزو، والقتال. فلما لم تصدق[1].

قيل: إن الجنّ كانوا يأتون السماء فيستمعون إلى قول الملائكة، فيحفظونه، ثم يلقونه إلى الكهنة، فيزيدون فيه وينقصون.. وكذلك كانوا في الفترة التي بين نبيّنا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام. فلمّا بعث نبيّنا صلى الله عليه وسلم ورجموا بالشّهب علم إبليس أنه وقع شيء «٥» ففرّ جنوده، فأتى تسعة منهم إلى بطن نخلة واستمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم فآمنوا، ثم آتوا قومهم وقالوا: إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ...[2].

الثاني: وهو عذاب القبر، فهذا قول عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس

ورفعه أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن عذاب القبر للكافر قال والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا»

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في الأسود بن عبد العزى المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيها أضلاعه. وأما الثالث: وهو الضيق في الآخرة في جهنم، فإن طعامهم فيها الضريع والزقوم، وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها/ ولا يحيون وهذا قول الحسن وقتادة والكلبي. وأما الرابع: وهو الضيق في أحوال الدين فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المعيشة الضنك هي أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها.

سئل الشبلي عن قوله عليه السلام: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية» فقال أهل البلاء هم أهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى إلى أنفسهم وأي معيشة أضيق وأشد من أن يرد الإنسان إلى نفسه،

وعن عطاء قال: المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب.

وأما الخامس: وهو أن يكون المراد الضيق في كل ذلك أو أكثره

فروي عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عقوبة المعصية ثلاثة: ضيق

(١) البحر المحيط، مصدر سابق: ١١٧.

(٢) : لطائف الإشارات = تفسير القشير، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: ٣، ٣/ ٦٣٧.

المعيشة والعسر في الشدة، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله تعالى»... [1].

المطلب الثالث: الطريقة المثلى للسحرة

[2]قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ

وهذا أيضاً له تأثير شديد في القلب فإن العدو إذا جاء واستولى على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها فذلك يكون في نهاية المشقة على النفس فهم ذكروا هذه الوجوه للمبالغة في التنفير عن موسى والترغيب في دفعه وإبطال أمره وههنا بحثان

البحث الأول قال الفراء الطريقة الرجال الأشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضاً هو طريقة قومه وجعل الزجاج الآية من باب حذف المضاف أي ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى وعلى التقديرين فالمراد أنهم كانوا يحرضون القوم بأن موسى وهارون عليهما السلام يريدان أن يذهبا بأشراف قومكم وأكابركم وهم بنوا اسرائيل لقول موسى عليه السلام (أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْراءيلَ)[3] وإنما سموا بني إسرائيل بذلك لأنهم كانوا أكثر القوم يومئذ عدداً وأموالاً ومن المفسرين من فسر الطريقة المثلى بالدين سموا دينهم بالطريقة المثلى (وَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[4] ومنهم من فسرها بالجاه والمنصب والرياسة

البحث الثاني الْمُثْلَى مؤنثة لتأنيث الطريقة واختلفوا في أنه لم سمى الأفضل بالأمثل فقال بعضهم الأمثل الأشبه بالحق وقيل الأمثل الأوضح والأظهر ثم إنه تعالى لما حكى عنهم مبالغتهم في التنفير عن موسى عليه السلام والترغيب في إبطال أمره حكى عنهم أنهم قالوا فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُواْ صَفّاً قرأ أبو عمرو بوصل الألف وفتح الميم من

أجمعوا يعني لا تدعوا شيئاً من كيدهم إلا جئتم به دليله قوله فَجَمَعَ كَيْدَهُ وقرأ الباقون بقطع الألف وكسر الميم وله وجهان أحدهما قال الفراء الإجماع الأحكام والعزيمة على الشيء يقال أجمعت على الخروج مثل أزمعت والثاني بمعنى الجمع وقد مضى الكلام[5].

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط: ٣- ١٤٢٠ هـ، ٢٢/ ١١١.

(٢) سورة طه الآية: ٦٣.

(٣) سورة الشعراء من الآية: ١٧.

(٤) سورة الروم من الآية:٣٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ط:١، ٢٢/ ٧٠.

يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش، وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب، وقالوا له: اجمع لهما السحرة، فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما، فأرسل إلى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل، فما أجرنا إن نحن غلبنا؟

قال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[1].

ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا)[2] وهؤلاء نظائر قومهم

وأما قوله (المُثْلَى) فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلى منهما. وفي المذكر: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلى، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل (لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة[3].

المطلب الرابع: وصف مذاهب الجان بالطرق

[4] وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا

وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا، وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا.

هذه السورة مكية. ووجه مناسبتها لما قبلها: أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان عليه الصلاة والسلام أول رسول إلى الأرض كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذي هو منهم عليه الصلاة والسلام كانوا عباد أصنام كقوم نوح،

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: ١- ١٤١٩ هـ، ٥/ ٢٥٥.

(٢) سورة الجن من الآية: ١١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨/ ٣٣١.

(٤) سورة الجن، من الآية: ١١.

حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديا إلى الرشد، وقد سمعته العرب، وتوقف عن الإيمان به أكثرهم، أنزل الله تعالى سورة الجن إثر سورة نوح، تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيرا لهم وأقبل للإيمان، هذا وهم من غير جنس الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فبنفس ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب فإنه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا، وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسدا وبغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده.

وقرأ الجمهور: قل أوحي رباعيا وابن أبي عبلة والعتكي، عن أبي عمرو، وأبو أناس جوية بن عائذ الأسدي: وحى ثلاثيا، يقال: وحى وأوحى بمعنى واحد. قال العجاج: وحى إليها القرار فاستقرت. وقرأ زيد بن علي وجوية، فيما روي عن الكسائي وابن أبي عبلة أيضا: أحى بإبدال الواو همزة، كما قالوا في وعد أعد. وقال الزمخشري:

وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة. انتهى. وليس كما ذكر، بل في ذلك تفصيل، وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولا وحشوا وآخرا، ولكل منها أحكام، وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في النحو. قال الزمخشري: وقد أطلقه المازني في المكسور أيضا، كإشاح وإسادة وإعاء أخيه. انتهى، وهذا تكثير وتبجح. وكان يذكر هذا في وعاء أخيه «١» في سورة يوسف. وعن المازني في ذلك قولان: أحدهما: القياس كما قال، والآخر: قصر ذلك على السماع[1].

كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً بيان للقسمة المذكورة، فالطرائق جمع الطريقة بمعنى السيرة والمذهب، والقدد جمع قدة من قد كالقطعة من قطع أي كنا قبل الإسلام ذوي مذاهب متفرقة مختلفة أو على حذف المضاف أي كانت طرائقنا طرائق قدد، أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة[2].

واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا طرائق فى اختلاف الأحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعية وسنية قال فى المفردات جمع الطريق

(١) : البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ، ١٠/ ٢٩٢.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط: ١ - ١٤١٦ هـ، ٦/ ٣٧١.

طرق وجمع الطرق طرائق والظاهر أن الطرائق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى كنا طرائق قددا اشارة الى اختلافهم فى درجاته كقوله هم درجات والطريق الذي يطرق بالأرجل اى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان فى فعل محمودا كان او مذموما وقيل طريقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشيء طولا والقد المقدود ومنه قيل لقامة الإنسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعنى انها من القد كالقطعة من القطع وصفت الرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرائق قددا اى فرقا مختلفة أهواؤها وقد تعددوا قال القاشاني وانا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنادون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كنا ذوى مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مما عينه الله ووكله به

قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبما دون ذلك اى أدنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واما الظالمون لانفسهم فمندرج فى قوله تعالى كنا طرائق قددا فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل أن يكون[1].

١-يقولون: منا الصالحون، ومنا قوم دون ذلك، الآية، والقدة من قد، كالقطعة من قطع، وُصفت الطرائق بذلك لدلالتها على القطع والتفرق، قال الحسن: أمثالكم: فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة. قال ابن كيسان

٢- لكل فرقة هوى كأهواء الناس.

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا[2]

٣- الظن هنا بمعنى اليقين، وهذه صفة أحوال الجن وعقائدهم منهم أخيار وأشرار، وأنهم يعتقدون أن الله عزيز غالب، لا يفوته مطلب، ولا ينجي عنه مهرب[3].

قال فبستخبر بعض اهل السموات بعضا حتى يبلغ هذا السماء الدنيا فيخطف الجن السمع فيقذفون

(١) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٠/ ١٩٤.

(٢) سورة الجن الآية: ١١.

(٣) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٣٥٨.

الى أوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يغرقون فيه ويزيدون رواه مسلم قلنا ليس فى هذين الحديثين وما فى معناهما ان الجن يخطف من السماء الدنيا ولعل معناه حتى يبلغ الخبر هذا السماء الدنيا ثم اهل السماء الدنيا ينزلون الى العنان فتذكر الأمر الذي قضى فى السماء فيخطف الجن مسترقو السمع وهم بعض فوق بعض الى العنان فحينئذ يدركه الشهاب الثاقب من نجوم السماء والله تعالى اعلم فَوَجَدْناها اى السماء مُلِئَتْ حَرَساً حراسا اسم الجمع كالخدم شَدِيداً قويا من الملائكة الذين يمنعون هم عنها وَشُهُباً جمع شهاب وهو شعلة نار انتشرت من النجوم

وَأَنَّا كُنَّا قبل ذلك نَقْعُدُ مِنْها اى من السماء اى من السحاب حال من مَقاعِدَ خالية عن الحرس والشهب صالحة للترصد والاستماع ظرف لتقعد لِلسَّمْعِ متعلق بنقعد او صفة لمقاعد فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يعنى بعد مبعث النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً اى رصدا له ولاجله يمنعه من الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه جمع للراصد فصار هذا معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم لاجل الجن أمنوا به وَأَنَّا لا نَدْرِي يعنى انا كنا لا ندرى قبل ذلك أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ بحراسة أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً فاما الان إذا سمعنا القران ان الذي حال بينكم وبين خبر السماء هو بعث هذا النبي حتى يكون معجزة له يعجزه الكهنة عن إتيان خبر السماء مثله فظهر ان الله سبحانه تعالى انما أراد للعالمين هداية ورشدا ففى هذه الجمل الثلث احتجاج على حقية القران ورسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم والشر والخير وان كانا جميعا بخلقه تعالى وإرادته لكنهم اسندوا ارادة الخير اليه تعالى صريحا وارادة الشر كناية بذكره على صيغة المجهول رعاية الأدب[1].

المطلب الخامس : وصف السماوات السبع بالطرق

أي سبع سموات وإنما قيل لها طرائق لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض يقال طارق الرجل نعليه إذا أطبق نعلا على نعل وطارق بين ثوبين إذا لبس ثوبا فوق ثوب.

هذا قول الخليل والزجاج والفراء قال الزجاج هو كقوله: (سبع سماوات طباقا)[2] وقال علي بن عيسى سميت بذلك لأنها طرائق للملائكة في العروج والهبوط والطيران، وقال آخرون لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها والوجه في إنعامه علينا بذلك أنه تعالى جعلها موضعا لأرزاقنا بإنزال الماء منها، وجعلها مقرا للملائكة، ولأنها موضع الثواب، ولأنها مكان إرسال الأنبياء ونزول الوحي.

(١) التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ط : ١٤١٢ هـ، ١٠/ ٧٨.

(٢) سورة نوح من الآية:15.

أما قوله: (وما كنا عن الخلق غافلين)[1] ففيه وجوه: أحدها: ما كنا غافلين بل كنا للخلق حافظين من أن تسقط عليهم الطرائق السبع فتهلكهم وهذا قول سفيان بن عيينة، وهو كقوله تعالى: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا)[2] وثانيها: إنما خلقناها فوقهم لننزل عليهم الأرزاق والبركات منها عن الحسن وثالثها: أنا خلقنا هذه الأشياء فدل خلقنا لها على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله: (وما كنا عن الخلق غافلين) يعني عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم وذلك يفيد نهاية الزجر[3].

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهنّ فوق بعض، فكلّ سماء منهنّ طريقة وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل[4].

«الطريق» كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض، ومنه طارقت نعلي، ويريد ب «السبع الطرائق» السماوات، ويجوز أن تكون «الطرائق» بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء، وقوله تعالى: وَما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ نفي عام في إتقان خلقهم وعن مصالحهم وعن أعمالهم، وقوله تعالى: ماءً بِقَدَرٍ، قال بعض العلماء أراد المطر، وقال بعضهم إنما أراد الأنهار الأربعة سيحان وجيحان والفرات والنيل، والصواب أن هذا كله داخل تحت الماء الذي أنزله الله تعالى، وقال مجاهد: ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء ويمكن أن يقيد هذا بالعذب وإلا فالأجاج ثابت في الأرض مع القحط والعذب يقل مع القحط، وأيضا فالأحاديث تقتضي الماء الذي كان قبل خلق السماوات والأرض، ولا محالة أن الله قد جعل في الأرض ماء وأنزل من السماء ماء، وقوله، بِقَدَرٍ، أي على مقدار مصلح لأنه لو كثر أهلك، فَأَنْشَأْنا، معناه فأوجدنا وخلقن[5].

(١) سورة المؤمنون من الآية:17.
(٢) سورة فاطرمن الآية 41.
(٣) فاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٣ - ١٤٢٠ هـ، ٢٣/ ٢٦٧.
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٩/ ٢٠.
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١ - ١٤٢٢ هـ، ٤/ ١٣٩.

سماوات لأن كل طبقة طريقة للملائكة أو طباقاً بعضها فوق بعض ومنه طراق النعل إذا أطبق عليها ما يمسكها، أو كل طبقة منها على طريقة من الصنعة والهيئة. {غَافِلِينَ} من نزول المطر عليهم من السماء أو من سقوطها عليهم، أو عاجزين عن رزقهم[1].

الخاتمة

نستطيع القول في نهاية هذا البحث بعد عرض أبرز الصور والنماذج لاتساع المعنى في القرآن الكريم أنّنا قد حاولنا من خلال ما ذكرناه من أمثلة قرآنية أن نبيِّن ما لهذه الكلمات القرآنية من أثر في إثراء المعنى؛ إمّا بالدلالة على الكثير من المعاني المتراكبة المجتمعة للّفظ الواحد، وإمّا بالدلالة على المعاني العديدة المتناوبة باعتبارها وجوهًا معتبرة للمعنى يقتضيها السياق.

كما بيَّن البحث ما يُجتنَى من وراء ذلك من فوائد بلاغية تتمثّل في تحقيق الإيجاز الذي هو مقصد البلاغة وغايتها بالتعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، فضول عن استيعاب العديد من المعاني وشمولها بلفظ واحد، إلى غير ذلك من الفوائد والنكات البلاغية والجمالية التي يتناغم فيها كلّ لفظ مع سياقه الوارد فيه.

وفي نهاية هذا البحث أؤكّد من خلال معايشتي لهذا الدّرْس أنّ مبحث الدلالة رغم كثرة ما كُتِب فيه من البحوث الأصولية واللغوية لا يزال بحاجة إلى بحوث تطبيقية تتناول أنواع الدلالات القرآنية كلاً على حِدَةٍ بدراسة تطبيقية شاملة لنماذج هذا النوع وأمثلته التطبيقية في كتابه الكريم لاستنباط الدلالات المتعدّدة لوجوه المعنى التي تفيد إفادة كبيرة؛ سواء في مجال دراسة التفسير أو في مجال الدراسات الأصولية والفقهية التي تبتغي الوقوف على أحكام القرآن الكريم.

(١) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)
تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت
ط: ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ٢/ ٣٧١.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١ - ١٤٢٢ هـ .

٣ - تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت ط: ١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤ - التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، ط : ١٤١٢ هـ .

٥ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٣ - ١٤٢٠ هـ.

٦ - روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت .

٧ - تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٨ - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ .

٩ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه - بيروت، ط: ١ - ١٤١٦ هـ .

١٠ - تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم

الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: ١- ١٤١٩ هـ .

١١ - لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط: ٣ .

١٢ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ٣ .

١٣ - التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط: ١- ١٤٢٢ هـ .

١٤.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط: ٢، ١٤١٨ هـ .

١٥ - مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط ٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .

١٦ - المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٧ - التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط/١ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١٨ - جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط/١، ١٩٨٧م: ١/ ٤٥١ ؛ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩ - معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط/١، ١٤١٢هـ.

٢٠ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لابي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢١.العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٢. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط/١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٢٣. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ٢٠٠١م: ٩/ ١٠ -١٤؛ ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط/٣ ١٤١٤ هـ .